

## النظم التعليمية في مصر المملوكية في ضوء وثائق الأوقاف

د. أنور عودة عؤاد الخالدي\*

### المستخلص

هدف هذا البحث للحديث عن معطيات الحركة العلمية في مصر المملوكية في ضوء بعض وثائق الأوقاف في العصر المملوكي الموقوفة على المؤسسات التعليمية والمحفوظة في الأرشيف التاريخي لوزارة الأوقاف بالقاهرة، والتي عكف عليها بعض الدارسين في سبيل نشرها؛ مع الأخذ في الاعتبار مقارنتها بما ورد في المصادر الإسلامية المختلفة من أجل تشكيل الهيكل العام لكافة التنظيمات المالية والإدارية داخل المدارس المملوكية.

المقدمة:

يبدو واضحاً من خلال المصادر الإسلامية أنّ المؤسسات التعليمية الثقافية والدينية من قبيل: المساجد، المدارس، البيمارستانات... إلخ، كانت تحتاج إلى موارد مالية ضخمة للإنفاق عليها لضمان استمرارها وتدعيمها، ودفع مرتبات القائمين عليها، ونفقات الطلبة ومن والاهم حتى يتيسر لهم سبل العيش الكريم؛ فكانت الأوقاف هي المورد المالي الوحيد للإنفاق عليها؛ حيث ثبتت أركانها ودعمت نظمها ومكنتها من القيام برسالتها على أكمل وجه، وكان الربيع الذي تغله الأوقاف الموقوفة على دور العلم شهرياً أو سنوياً - نقداً أو عيناً - هو ضمان استمرار العمل بتلك المؤسسات.

ولم يقتصر دور الأوقاف على أنها المورد المالي الذي يضمن استمرار المؤسسات التعليمية بأنواعها المختلفة، بل تعدها إلى كافة جوانب العملية التعليمية، فيقال أنّ وثيقة الوقف كانت بمثابة اللائحة الأساسية للمؤسسة التعليمية، تحدد من خلالها شروط اختيار المدرسين على اختلاف تخصصاتهم. من هذا المنطلق تتناول تلك الورقة البحثية الحديث عن معطيات الحركة العلمية في مصر المملوكية في ضوء بعض وثائق الأوقاف في العصر المملوكي الموقوفة على المؤسسات التعليمية والمحفوظة في الأرشيف التاريخي لوزارة الأوقاف بالقاهرة والتي عكف عليها بعض الدارسين في سبيل نشرها؛ مع الأخذ في الاعتبار مقارنتها بما ورد في المصادر الإسلامية المختلفة من أجل تشكيل الهيكل العام

\* أستاذ التاريخ المساعد- جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية - المفرق

لكافة التنظيمات المالية والإدارية داخل المدارس المملوكية. ويمكن تناول دور الأوقاف في استمرارية العملية التعليمية من خلال المحاور التالية:

**المحور الأول:** نشأة نظام الوقف وتطوره، وأثره على استمرارية المؤسسات التعليمية في العصر الإسلامي.

**المحور الثاني:** الوقف والتقسيمات الإدارية بالمدارس من قبيل: المدرس - المعيد - الطلبة - الإمام - القارئ - المؤذن - ناظر الوقف - الخدم... الخ وبيان مرتباتهم من خلال المصادر الإسلامية.

المحور الثالث: الوقف وأساليب التعلم والتي تنوعت ما بين: الحلقة - المجلس... الخ.

المحور الرابع: الوقف وطرق التدريس وتتناول الطرق المتنوعة للتدريس مثل: السماع - الإملاء - القراءة - المناظرة والمناقشة... الخ.

المحور الخامس: الوقف وآداب الدرس في المدارس.

المحور السادس: يتناول الحديث عن علاقة الطلاب بأساتذتهم، ثم ختاماً بالحديث عن الإجازة أو الشهادة.

والورقة البحثية مذيبة بقائمة من المصادر والمراجع الإسلامية، إضافة إلى صور لبعض وثائق الأوقاف التي رجع إليها الباحث في هذا البحث.

### **المحور الأول: قراءة في نشأة نظام الوقف وتطوره في العصر الإسلامي**

عرفت جميع المجتمعات القديمة ظاهرة الوقف ولكن بصور شتى، ولعل نظام الوقف الإسلامي يرجع في أساس نشأته - بصرف النظر عن التطورات التي لحقت به - إلى الوازع الديني، حيث أرجعه البعض إلى حديث الرسول: "p إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، وعلم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الشوكاني، نيل الأوطار (شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار)، ج6، القاهرة 1288م، ص18.

## EDITORIAL

ومن هنا عرف الوقف أنه صدقة جارية، أو ما عرف عن النبي  $\rho$  من قوله لعمر بن الخطاب، عندما أراد التقرب إلى الله بأرض له: "إن شئت حبست أصلها وتصدق بثمرتها" وهكذا كان الوقف "حبس العين والتصدق بالمنفعة" أي أنّ أصل الوقف لا يباع ويتم التصديق بريع العين الموقوفة.<sup>2</sup>

يشترط في الواقف أو المنشئ لمؤسسة خيرية أنّ تتوفر فيه شروط الأهلية منها: أن يكون الواقف بالغاً رشيداً، مالكاً ملكية صريحة للعقار الذي يرغب في وقفه، وأن يتمتع بحرية اختيار واسعة النطاق في تأسيسه لمنشأته الخيرية، وأيضاً أن تكون شروط كتاب الوقف غير مخالفة لتعاليم الإسلام بأي حال من الأحوال.<sup>3</sup>

وأقيمت على الوقف مؤسسات عديدة، منها المؤسسات التعليمية بجميع أنواعها ومؤسسة العلماء والفقهاء، وكانت هذه المؤسسات تعتمد على الوقف كمصدر استقلال مالي دائم وثابت، ولا يتحكم فيه أحد، حيث له شخصية معنوية لا يستطيع أحد أن يوقفه إلا إذا كان الوقف قائماً على شرط من بدايته.<sup>4</sup>

وقبيل العصر المملوكي نعمت المدارس الأيوبية في القاهرة وغيرها من مدن العالم الإسلامي بأوقاف سخية وغنية، ولكنها بالمقابل تفاوتت في غناها بين المدارس السلطانية والمدارس غير السلطانية، ولكن بشكل عام كان لكل مدرسة وقف يتناسب مع المدرسين والطلبة الموقوف عليهم، بحيث تكفل لهم راتب أو جارية محددة في الشهر سواء كانت أقل أو أكثر المهم كان يوجد مرتب يعين الطلبة ومدرسيهم على مصاريف الحياة.

وأول من اهتم بالأوقاف في العصر الأيوبي السلطان صلاح الدين حيث عمد إلى وقف أراضٍ من بيت المال على مختلف المؤسسات الدينية والخيرية، وهي الأوقاف التي كانت بمثابة الأرصاء، وإنما ذكرت أوقاف من باب التجاوز، وسبق صلاح الدين في ذلك الخلفاء الفاطميون، ولكن يبدو أنّ صلاح الدين قد أخذ هذا النظام عن نور الدين زنكي وليس عن الفاطميين.<sup>5</sup> وكانت أوقافه سخية على المدارس التي أنشأها في مصر وبلاد الشام، فالمدرسة الناصرية الأولى بمصر والقمحية وغيرها كلها كان لها أوقاف ثابتة ومحددة، وخير شاهد على ذلك ما ورد في وصف الرحالة الأندلسي ابن جبير<sup>6</sup> للمدرسة التي بجانب قبر الإمام الشافعي، وكانت الأوقاف تجارية وزراعية مثل سوق الصاغة على الناصرية الأولى، وقرية الحنبوشية بالفيوم على المدرسة القمحية بالإضافة إلى قيسارية الوراقين، وقد اقتدى به خلفاؤه مثل الكامل والصالح نجم الدين أيوب الذين أوقفوا على مدارسهم بسخاء، وأيضاً الأمراء مثل تقي الدين عمر صاحب المدرسة النورية في منازل العز التي أوقف عليها أوقاف سخية وفعل ذلك العلماء والعامّة الذين قاموا ببناء المدارس.<sup>7</sup>

محمد عفيفي، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1991م، ص 15-16.<sup>2</sup>  
جورج المقدسي، نشأة الكليات "معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب"، ت محمود سيد محمد، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة 1994م، ص 44-45.<sup>3</sup>

المنظور الحضاري "دار القارئ العربي"، نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة "دراسة نقدية مقارنة في ضوء" القاهرة 1992م، ص 366.<sup>4</sup>

محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ط1، القاهرة 1980م، ص 61.<sup>5</sup>  
رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة و المناسك (رحلة ابن جبير)، ط3 دار صادر بيروت 1907، ص 22-23.<sup>6</sup>

عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي في مصر، أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1991م، ص 192-194؛ أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، القاهرة 2003، ص 136-137.<sup>7</sup>

## EDITORIAL

لاحظنا نفس الشيء عند السلاطين الأيوبيين في مدينة حلب. الذين أوقفوا أوقاف سخية تجارية وزراعية وحمامات مثل المدرسة الظاهرية التي بناها الملك الظاهر صاحب حلب 589-613هـ/1193-1216م، التي أوقف عليها سوقاً داخل حلب يعرف بسوق الظاهر وبستاناً إلى جانبها وضيعة من عمل الباب<sup>8</sup> وكذلك المدرسة الصحابية التي أنشأها بهاء الدين المعروف بابن شداد التي أوقف عليها قرية كفر سلوان،<sup>9</sup> وكذلك فعلت ضيفة خاتون في مدرستها التي أوقفت عليها ضيعة كفر زيتا، وثلاثي طاحونها.<sup>10</sup>

اهتم صلاح الدين بأحوال العلماء والفقهاء من الناحية الاقتصادية، وذلك لضمان استمرارهم في العطاء فمثلاً ذكر بهاء الدين بن شداد: أن صلاح الدين قد مر على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن، فاستحسن قراءته، فقربه، وجعل له حظاً من خاص طعامه، ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مزرعة".<sup>11</sup>

تولى ديوان الأحباس النفقة على المدارس، والمقصود بذلك مجموعة المدارس التي شيدها السلاطين الأيوبيين أنفسهم، وأوقفوا عليها أوقافاً ينظر عليها ديوان الأحباس من حيث الإيراد والصرف.<sup>12</sup> وكان هناك إعانات أخرى للمدارس غير الأوقاف مثل الزكاة، والهبات، والإعانات، والصدقات كانت مورداً للمدارس ولكنه لم يكن ثابتاً، وإنما يرتبط بالأغنياء وكبار رجال الدولة، وهبات وصدقات المحسنين من الأهالي

والتجار وغيرهم، وعطاءات السلاطين والحكام والزكاة الشرعية، وهذه مرتبطة بمدى سخاء السلاطين والأمراء وكذلك وفرة الأموال بيد التجار.<sup>13</sup>

كان للوقف بعض المساوئ حيث كان بعض نظارة الوقف يماطلون المدرسين في دفع رواتبهم وهذا ما دفع أبو شامة في بواكير العصر المملوكي<sup>14</sup> (ت 665هـ/1266م) إلى ترك المدرسة والاشتغال بزراعة أرضه وعندما عوتب على ذلك أنشأ قصيدة كبيرة تبلغ 108 بيتاً نقد فيها نظام الوقف وما جره على المدارس من أبعاد أهل الكفاءة من بين مدرسيها،<sup>15</sup> وربما جاءت هذه المساوئ في وقت متأخر أثناء الفوضى والضعف وفي حالات خاصة.<sup>16</sup>

## المحور الثاني التنظيمات الإدارية بالمدارس:

الباب: وهي بلدة صغيرة قريبة من جند قنسرين، وقريبة من حلب، ويوجد بها سوق، وحمام ومسجد جامع، كما تتميز بوجود جناين كثيرة فيها للزراعة. (أبو الفدا، تقويم البلدان، مدينة باريس المحروسة، بدار الطباعة السلطانية 1840م، ص337).  
كفر سلوان: من عمل إعزاز التابعة لحلب. (ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج1، ط1، دار القلم العربي، حلب 1997م، ص294).  
ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب، ج1، ص294-325؛ ابن شداد، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج1، تحقيق: <sup>10</sup>سورديل، حلب 1963، ص251 وما بعدها

<sup>11</sup> ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة 1964م، ص9.  
حسني محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، دار النهضة العربية، القاهرة 1990م، ص57.  
عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص195-197.<sup>13</sup>

<sup>14</sup> هو شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة لشامة على حاجبه الأيسر ولد بدمشق سنة 599هـ/1202م، وتوفي سنة 666هـ/1266م، وهو الفقيه النحوي المقرئ النحوي المحدث، بلغ رتبة الاجتهاد، وولي مشيخة القراءة بالثربة الأشرافية ومشيخة دار الحديث الأشرافية، انظر: ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحافظ عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت 1986م، ج2، ص134.

أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة 1972م، ص81.<sup>15</sup>

<sup>16</sup> انظر القصيدة في: أبو شامة، ذيل الروضتين، نشره السيد عزت العطار، ط1، القاهرة 1947م، ص222

## EDITORIAL

كانت المدارس من الداخل منظمة سواء من حيث الوظائف ومن يديرها والطلبة وأقسامهما، وكان ينظم هذه المدارس من الداخل موظفون منهم المدرسون والمعيدون والإمام..... وحتى الخدم، ومعلوماتنا عن هذه التنظيمات جاءت من خلال وثائق أوقاف العصر، والمصادر المملوكية من قبيل: السبكي (ت771هـ/1369م) في كتابه معيد النعم ومبيد النقم، والقلقشندي (ت821هـ/1418م) في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وسوف نحاول أن نتعرف على هؤلاء الموظفين من خلال الوثائق والمصادر معاً، لتشكيل الهيكل العام للورقة البحثية؛ فمن:

أهم الوظائف التعليمية والتنظيمات الإدارية داخل تلك المدارس:

## 1. المدرس:

هو الذي يتصدى لتدريس العلوم التي تدرس بالمدرسة من تفسير وحديث وفقه ونحو وتصريف ونحو ذلك. وهو مأخوذ من درست الكتاب دراسة إذا كررته للحفظ.<sup>17</sup>

وعلى المدرس أن يحسن إلقاء الدرس، وتفهمه للحاضرين. ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقى عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدرهم ويأخذهم بالأهون فالأهون، إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق. وإن كانوا منتهين فلا يلقى عليهم الواضحات، بل يدخل بهم في مشكلات الفقه، ويخوض بهم عبابه الزاخر.<sup>18</sup>

طرأت على وظيفة التدريس ضوابط وقيود لم تكن موجودة من قبل ذلك، فلم يعد القيام بها مباحاً لكل من يتصدى لها وإنما أصبح المدرس يعين من قبل السلطان أو الواقف الذي بيده تسيير أمور المدرسة. وكان هؤلاء لا يختارون لهذا المنصب إلا من كان له باع ومكانة علمية مرموقة تؤهله للقيام بهذه المهمة العلمية الجليلة.<sup>19</sup>

كانت هناك أسباب رفعت من قدر المدرس، لأن أخذ العلم عن المدرس نال اهتمام المسلمين الذين كانوا يكرهون أخذه عن الكتب وحدها لدرجة أنهم كانوا يقولون: " أن أعظم البلية هو تشيخ الصحيفة أي الذين تعلموا من الصحف".<sup>20</sup> وبلغ من سمو مكانة التدريس أنه كان يصدر تقليد أو مرسوم من السلاطين، واعتبرت هي والقضاء من درجة واحدة، وكثيراً ما جمع الشخص الواحد بين الوظيفتين معاً، وممن جمع بين الأمرين قديماً زين الدين بن أيوب<sup>21</sup> وتولى الوظيفتين سنة 595هـ/1198م، في مصر، وكتب له التقليد بذلك الصاحب ضياء الدين بن الأثير الجزري، وكان التقليد يقرأ بطريقة علنية في المسجد الجامع،<sup>22</sup> وفي مدينة حلب بهاء الدين بن شداد كان قد جمع بين التدريس والقضاء. وكان يساعد المدرس معيداً أو أكثر وهو الذي يتولى مهمة إعادة

وثيقة وقف السلطان قايتباي، محفوظة تحت رقم 886 بأرشيف وزارة الأوقاف، ص 15؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 17، ص 464؛ عبد اللطيف أحمد علي، نصاب جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش، حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة، مج 28، ص 1966، ص 27.

<sup>18</sup> السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1993م، ص 105-106

<sup>19</sup> علي السيد علي، وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون علي المدرسة والمكتب والسبيل، دار عكاظ الرياض 2007، ص 22؛ محمد أبو غنيم، تطور التعليم الجامعي في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1958م، ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت 1935م، ص 87.<sup>20</sup> هو علي بن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي ولي قضاء مدينة دمشق سنة 91هـ/1194م، وعزل منه عدة مرات ثم عاد في 21 المحاضرة، عهد الملك الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي، لم نثر على تاريخ وفاته، انظر: السيوطي، حسن (133-132). تحقيق: محمد أبو الفضل، مج 2، دار الفكر العربي، القاهرة 1998م، ص 127؛ عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص 178.<sup>22</sup>

## EDITORIAL

الدرس بعد فراغ المدرس منه،<sup>23</sup> وكان مدرس الفقه يتولى أكثر من منصب تدريس في أكثر من مدرسة، فيدرس في واحدة ويستخدم من ينوب عنه في التدريس في الأخريات التي عقدت مشيخة تدريسها باسمه، وكان اللفظ الاصطلاحي لمن يقوم بالتدريس نيابة عن مدرس الفقه هو نائب المدرس. وتسمى وظيفة نيابة التدريس وكان بعض المدرسين يستخدم نواباً يحلون مكانه وخاصة في المدارس الواقعة في المدن المختلفة، ويدفع له مبلغ يتم الاتفاق عليه.<sup>24</sup>

وقد اختلفت رواتب المدرسين كل حسب وقف المدرسة ونوع المدرسة؛ إن كانت سلطانية كان مرتبه عالياً، وإن كانت غير سلطانية كانت المرتبات غير مستقرة، وفي العهد الأيوبي لم يعد هناك مستوى منتظم لمرتبات المدرسين، بل أصبحت هذه المرتبات تتأثر تأثراً واضحاً بظروف متعددة، كمقدار الوقف على المدرسة، ومكانة المدرس وسمعته، ثم تأثرت المرتبات بشكل خاص بالأخلاق التي اضطرب مستواها في هذه الفترة، فإذا كان ولي الأمر كريماً أو عفيفاً أغدق على المدرسين و إذا كان شحيحاً أو شرهاً قل المرتب الذي يمنحه للمدرسين مهما كان ريع الوقف أو شرط الواقف، وأياً كان مركز المدرس العلمي فقد كان الشيخ نجم الدين الخبوشاني يتقاضى أجر مقداره أربعين ديناراً في كل شهر عن التدريس وعشر دنانير لأجل النظر في أوقاف المدرسة، وستين رطلاً مصرياً من الخبز كل يوم، وراويتين من ماء النيل في كل يوم.<sup>25</sup> (انظر الجدول الخاص برواتب الهيكل الإداري للمدرسة الصرغتمشية من خلال وثيقة وقف تلك المدرسة في ملحق الورقة البحثية).

ويمكن القول بأن المدرس كان يتمتع بمكانة مرموقة ويتقاضى راتباً سخياً في معظم المدارس وكانت مهمة التدريس لها مكانتها ويأتي المدرس على رأس الهرم في المدارس بعد ناظر الوقف، وكثيراً ما كان المدرس هو الذي يتولى مهمة ناظر الوقف، وكانت مهمة المدرس محصورة فيمن يدرس الفقه. أما النحو والحديث فكان يتولى تدريسهما شيخ يطلق عليه شيخ الحديث وشيخ النحو وشيخ الطب وشيخ الفرائض.<sup>26</sup>

## 2. المعيد:

يلي المدرس رتبة وعليه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه،<sup>27</sup> وكذلك عليه قدر زائد من سماع الدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة.<sup>28</sup> ويكون المعيد عادة أكبر من الطلبة ويقوم بشرح ما صعب على الطلبة فهمه، ومنذ العصر الأيوبي صار منصب المعيد مرموقاً. بحيث قل أن خلت مدرسة من مدارس العصر المملوكي من معيدين.<sup>29</sup>

<sup>23</sup> أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص 76.

<sup>24</sup> جورج المقدسي، نشأة الكليات " معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب"، ت محمود سيد محمد، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة 1994م، ص 213.

<sup>25</sup> المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، دار الطباعة المصرية، القاهرة 1988م، ج 4، ص 251؛ أحمد شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، ط 11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1999م، ص 248-248. عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص 178.

<sup>26</sup> القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 5، تحقيق: محمد حسنين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، <sup>27</sup> 1987م، ص 464؛ عبد اللطيف أحمد علي، نصاب جديداً من وثيقة وقف الأمير صرغتمش، ص 27-28.

<sup>28</sup> السبكي، معيد النعم، ص 108.

<sup>29</sup> سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر وبلاد الشام، دار النهضة العربية، القاهرة 1998م، ص 142.

## EDITORIAL

ففي المدرسة الشرفية أعاد فيها عشرة معيدين، وبسبب اختلاف المستوى العلمي للمدارس فقد كان المعيد مدرساً في مدرسة ومعيداً في أخرى، وهذا يدل على علو مكانة المعيد في المستوى الثقافي، بحيث لا نقل فيها وظيفة المعيد عن وظيفة المدرس في المدارس الأخرى، وأحياناً قد يشغل الشخص الواحد الوظيفتين معاً.<sup>30</sup> وأحياناً كانت هذه الوظيفة تسد العجز الذي كانت تواجهه بعض المدارس من جراء نقص المدرسين وهذا ما أكده المقريري في روايته عن المدرسة الناصرية الثانية من أنها بقيت ثلاثين عاماً (648-678هـ/ 1248-1279م) خالية من المدرسين واكتفي فيها بالمعيدين وكانوا عشرة أنفس<sup>31</sup>.

ليس معنى ذلك أن المعيد كان يبقى في تلك الوظيفة طوال حياته بل إننا لاحظنا كثير من المدرسين بدؤوا أول ما بدؤوا بالإعادة لأحد المدرسين ثم استقلوا بعد ذلك بالتدريس. ومعنى ذلك أن الإعادة بالمدارس كانت وظيفة محددة من ناحية العدد في أي مدرسة من المدارس بحسب ما تقتضي بذلك شروط وقفها، وكذلك أيضاً كان التدريس، فلا يصح أن يرقى معيداً مهماً طالبت مدة إقامته بالمدرسة إلى درجة مدرس بها أو بغيرها من المدارس إلا في حالة خلو ذلك المنصب ممن يشغله مع مراعاة أن يكون موافقاً لبقية شروط الواقف<sup>32</sup>.

3. الإمام<sup>33</sup>:

وهي من الوظائف التي وجد لها مثال في مدارس العصر الأيوبي وخاصة في مصر، واستمرت طوال العصر المملوكي، ووظيفته كانت إمامة المقيمين بالمدرسة في الصلاة، كما ذكر المنذري<sup>34</sup> وكما ورد في وثيقة وقف المدرسة الصرغتمشية بالقاهرة في العصر المملوكي.

4. القارئ<sup>35</sup>:

وهو من موظفي المدارس المملوكية وهو الذي يقرأ القرآن داخل المدرسة.<sup>36</sup> وأورد السبكي ثلاث من الوظائف التي تتعلق بقراءة القرآن داخل المدرسة: قارئ العشر وهو الذي ينبغي عليه أن يقدم قراءة العشر وذلك قبل الدرس، والقراء الذين كانوا يقرؤون بالألحان وهم الذين عليهم أعمال جهدهم في تأدية كلام الله تعالى كما انزل بلفظ بين، وقارئ الكرسي، وهو الذي يجلس على كرسي يقرأ على العامة شيئاً من الحديث والتفسير<sup>37</sup>.

## 5. المؤذن:

عليه معرفة الوقت، وأن يكون حسن الصوت جهورياً بحيث يبلغ مده أبعاد المسافات، ويؤذن للصبح من نصف الليل وعند دخول الوقت. ولذلك يسن للصبح مؤذنان<sup>38</sup> كما ذكر المنذري أيضاً في كتابه<sup>39</sup>.

كمال بدور، مملكة حلب، دمشق 1988، ص 215.<sup>30</sup>

<sup>31</sup> الخطط، ج 4، ص 251.

أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 149.<sup>32</sup>

عبد اللطيف أحمد علي، نصاب جديداً من وثيقة وقف الأمير صرغتمش، ص 29.<sup>33</sup>

التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، ج 3، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1988م، ص 479، ج 2، ص 361؛ أيمن<sup>34</sup> سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 150-151.

عبد اللطيف أحمد علي، نصاب جديداً من وثيقة وقف الأمير صرغتمش، ص 30.<sup>35</sup>

أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 150-151.<sup>36</sup>

معيد النعم، ص 109-114.<sup>37</sup>

السبكي، معيد النعم، ص 115؛ عبد اللطيف أحمد علي، نصاب جديداً من وثيقة وقف الأمير صرغتمش، ص 30.<sup>38</sup>

<sup>39</sup> التكملة لوفيات النقلة، ج 3، ص 572.

## EDITORIAL

6. الناظر<sup>40</sup>:

وهو عادة ما يكون مدير المدرسة وناظر أوقافها وهو الذي يشرف على الوقف، وربما يكون الناظر صاحب الوقف أو المدرس أو مشرف آخر، وقد لاحظنا قبيل العصر المملوكي في عهد صلاح الدين أنه قد أوكل مهمة التدريس والإشراف في المدرسة الصلاحية لنجم الدين الخبوشاني، وكان مدرساً ومشرفاً على الوقف والمدرسة، وكذلك الشيخ الجبتي في المدرسة السيوفية<sup>41</sup>. ولاحظنا ذلك أيضاً في مدارس حلب مثل المدرسة الصاحبية مع ابن شداد فقد كان مدرساً وصاحب المدرسة والمشرف عليها وكذلك ابن العجمي فعل في مدرسته الشرفية. واستمر الناظر في مباشرة مهام منصبه أيضاً في مدارس العصر المملوكي.

## 7. الخدم "المستخدمون":

يوجد في كل منشأة سواء كانت مسجداً أو مدرسة طائفة تقوم على خدمة الموظفين وأمور التنظيف والحراسة أحياناً؛ من قبيل: الفراشين، الوقادين، خدام الميضاة، الزمامين، البوابين<sup>42</sup>؛ فقد جرت العادة في مدارس مصر والشام أن يكون لها أبواب لتنظيم الدخول والخروج بها، ودفع من يرتاب فيه ومن يكثر الدخول لغير حاجة، وكان من حقه المبيت بقرب الباب بحيث يسمع من يطرقه عليه وإغلاق الباب ولا يفتح بابها إلا في وقت معلوم<sup>43</sup>.

## 8. خازن المكتبة "موظفو المكتبة":

يوجد في كل مدرسة مكتبة تحتوي على أمهات الكتب من أجل مطالعتها من قبل الطلاب والمدرسين، وقد عرف لنا السبكي<sup>44</sup> خازن الكتب بقوله: "وحق عليه الاحتفاظ بها، وترميم شعنها، وحكها عند احتياجها للحبك، والضن بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها، وأن يقدم في العارية الفقراء الذين يصعب عليهم تحصيل الكتاب على الأغنياء، وكثيراً ما يشترط الواقف ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته وهو شرط صحيح معتبر فليس للخازن أن يعير إلا برهن". كان يشترط في خازن الكتب أن يكون عالماً فقيهاً، وكان يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الأدباء ليكون عوناً للطلبة والباحثين ويمكنه إرشادهم للمراجع، وكان الناظر يسلم الكتب إلى الخازن ويقوم بمراجعتها ونفض الغبار عنها وترميمها وكان أحياناً يختار من بين الطلبة المترددين على المدرسة، وكان يتسلم الخزانة بحضور الشهود ويعتبر مسئولاً عنها، وقد حددت العطللة التي يحصل عليها مثل الحج أو زيارة الأهل فكان يسمح له بثلاثة أشهر لا غير، ومن غاب عن وظيفته شهراً بغير عذر استبدل بآخر<sup>45</sup>.

عبد اللطيف أحمد علي، نصاب جديدان من وثيقة وقف الأمير صرغتمش، ص 34-40.  
عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص 182-183.<sup>41</sup>

عبد اللطيف أحمد علي، نصاب جديدان من وثيقة وقف الأمير صرغتمش، ص 30، 31، 34.<sup>42</sup>

عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص 182-183.<sup>43</sup>

معيد النعم، ص 111.<sup>44</sup>

زيدة محمد عطا، مكتبات المدارس "خزانة الكتب" في العصرين الأيوبي والمملوكي، أبحاث ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية من 22-25 أبريل عام 1991م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992م، ص 220.<sup>45</sup>

**EDITORIAL**

وكانت مهمة خازن المكتبة الإشراف العلمي والإداري على المكتبة، فهو يمد المكتبة بالكاتب الجديدة، ويلاحظ دقة الفهارس وتنظيمها وشمولها، ويسر للقراء عملهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان عادة ما يوجد في المكتبة موظفون آخرون حسب حجم المكتبة، فكان يوجد النساخون والمجلدون وغيرهم كثير<sup>46</sup>.

بالإضافة إلى هذه الوظائف كان يوجد وظائف أخرى مثل مباشري الإدارة وعملهم ابتياع ما يحتاج من الأصناف، وضبط ما يدخل منه خاصة من غير أن يكون لهم تعلق في استخراج الأموال، ومباشري الصندوق والرباع واليهم يرجع تحرير الأوقاف في الخلق والسكون والتعطيل واستخراج الأموال ومحاسبة المتأخرين وصرف الأموال بمقتضى حوالة مباشري الإدارة، وأيضاً كان يوجد وظيفة مباشرة العمارة الذين كانت وظيفتهم القيام بالإصلاحات المعمارية اللازمة من ابتياع الأصناف واستعمال الصنائع وغير ذلك<sup>47</sup>.

**9. طلاب المدارس:**

يعتبر طلاب المدارس هم الأساس الذي تقوم بهم العملية التعليمية وبهم يصبح للمدرسة وجود، وقد حرص بناء المدارس أو الواقفين عليها تحديد عدد الطلبة في كل مدرسة وقد اختلف ذلك حسب المدرسة فإن كانت مدرسة سلطانية فهي أكبر حجماً واتساعاً وأكثر وقفاً، فلذلك يكون عدد الطلاب أكثر، أما المدارس غير السلطانية فهي أقل حجماً واتساعاً من الأولى فيكون عدد الطلاب بها محدوداً، ولم نعرث في أغلب المصادر على عمر محدد لطلاب من أجل دخوله المدرسة، ولا سنوات الدراسة التي سوف يقضيها في المدرسة ولكن كان هناك طلاب منتظمون، وطلاب غير منتظمين وطلاب الرحلات العلمية أو الغريباء، وسوف نتحدث عنهم بشيء من التفصيل.

**أ. الطلاب المنتظمون:**

وهم الطلبة النظاميون الذين رتبوا على حسب ما تقتضيه حاجة وقف كل مدرسة على حدة، ويحتمل أن عددهم كان معروفاً ثابتاً بشرط الواقف، ولكن لم يكن عدد الطلبة محدد بشكل دقيق، فالمقريري (ت. 845هـ / 1442م)<sup>48</sup> يذكر عن المدرسة القمحية: "أنه رتب فيها أربعة من المدرسين عند كل مدرس عدة من الطلبة". وكذلك ما ذكر عن المدرسة السيوفية ومدرسها **مجد الدين الجبتي** الذي جعل له النظر في أوقاف المدرسة فقد سمح له بحرية التصرف بعد راتبه في باقي ريع الوقف حيث قال: "وباقي ريع الوقف يصرفه على ما يراه لطلبة الحنفية المقررين عنده على قدر طبقاتهم"<sup>49</sup>. والذي يدقق النظر في ذلك النص يكتشف أن طلبة الحنفية بالمدرسة السيوفية كانوا مقررين أي محددين العدد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا نجد في ذلك النص ما يؤكد على تصنيف **السبكي** لطلاب المدرسة على قدر طبقاتهم<sup>50</sup> وهم:

**- فقهاء المدرسة:**

وهم من طلاب المرحلة الأولى بالمدارس الإسلامية وعليهم قدر زائد من غيرهم في الالتزام بشروط الوقف من ناحية الانتظام في حضور الدرس والالتزام بقواعد المدرسة الخاصة بسلوك الطالب أثناء الدرس وغيرها من القواعد الأخرى المتعلقة بحياة الطالب

<sup>46</sup> أحمد شلبي، التربية الإسلامية، ص 161.

<sup>47</sup> عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص 183-184.

الخطط، ج 4، ص 193-194؛ أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 154.

<sup>49</sup> المقريري، الخطط، ج 4، ص 196.

<sup>50</sup> أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 154-155.

**EDITORIAL**

داخل المدرسة.<sup>51</sup> ويقول السبكي<sup>52</sup> بهذا الصدد: "وعليهم التفهم على قدر إفهامهم، والمواظبة ومن أقبح ما يرتكبونه، تحدث بعضهم مع بعض في أثناء قراءة الجزء من الربعة، فلا هم يقرؤون القرآن، ولا هم يسلمون من اللغو في الكلام، فإن انضم إلى ذلك أن قراءة الجزء شرط الواقف عليهم، وأن حديثهم في الغيبة قد جمعوا محرمات، ومنهم من لا يصغى للمادح، وربما فتح كتاباً ينظر فيه، ولا ينظر لما يقوله المدرس، بل يجلس بعيداً عنه بحيث لا يسمعه. وهذا لا يستحق من المعلوم شيئاً، ولا يفيد أن يطالع في كتاب وهو في الدرس فلو اكتفى الواقف منه بذلك لما اشترط عليه الحضور.

**- المنتهي من الفقهاء:**

عليه من البحث والمناظرة فوق ما على من دونه. فإن هو سكت وتناول معلوم المنتهي إليه لكونه في نفسه أعلم من الحاضرين فما يكون شكر نعمة الله تعالى حق شكرها<sup>53</sup>. وهم طلاب المرحلة الثانية وعليهم قدر زائد على طلبة المرحلة الأولى من ناحية الاستماع للمدرس والمشاركة بعد ذلك في الدرس بالحوار والمناظرة مع المدرس وكان المعلوم الذي يتقاضونه أكبر من طلاب المرحلة الأولى.<sup>54</sup>

**- المفيد:**

وهو من طلاب المرحتين السابقتين إلا أنه قد ارتقى عليهم بعلمه وبالطبع فإنه كان أكثر منهما مشاركة في الدرس من ناحية الحوار والمناظرة،<sup>55</sup> ويقول السبكي<sup>56</sup> عنه: "عليه أن يعتمد ما يحصل به في الدرس من فائدة، من بحث زائد على بحث الجماعة ونحو ذلك من أوضاع لفظ الإفادة وخصوصيتها، وكان أخذه العوض في مقابلتها حراماً". وربما كان المفيد بمثابة طالب دراسات عليا يقوم بإجراء مزيد من الأبحاث أكثر مما يقوم به الطلاب العاديين، وبذلك فهو مرشح لتولي وظيفة المعيد.<sup>57</sup>

**- شيخ الرواية:**

وعليه أن يسمع المحدثين، ويستمتع لما يقرؤونه لفظة لفظة، بحيث يصح سماعهم، وليصبر عليهم، فإنهم وفد الله تعالى، ومتمى وجد جزء حديث أو كتاب تفرد شيخ بروايته كان فرض عين عليه أن يسمعه.<sup>58</sup> وشيخ الرواية أرقى رتبة في المدارس الإسلامية يمكن للطالب الوصول إليها إذ كان نشاطه العلمي قد تعدى حدود الدروس التي كان يتعلمها في المدرسة، وقد بدأ السعي بنفسه وراء كلام يتعلق بالعلم الذي يدرس من الكتب والعلماء، سواء كان ذلك داخل المدرسة أو خارجها.<sup>59</sup>

**ب. طلاب غير منتظمين:**

وهم الذين كانوا يحضرون مجالس العلماء بالمدارس بصفة غير منتظمة على حسب ما تقتضيه في ذلك ظروفهم، ولذا فإنه لم يكن بالضرورة أن يشملهم شرط الواقف من حقوق أو واجبات.<sup>60</sup>

51 أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 154-155.

52 معيد النعم، ص 108-109.

53 السبكي، معيد النعم، ص 108.

54 أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 155.

55 أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 155.

56 معيد النعم، ص 108.

57 جورج المقدسي، نشأة الكليات، ص 219.

58 السبكي، معيد النعم، ص 111.

59 أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 155-156.

60 أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، ص 155-156.

**EDITORIAL****ج. طلاب الرحلات العلمية أو الغرباء :**

وهم الطلاب الذين يقومون برحلات من أجل أخذ العلم عن مشاهير بلده، والانتقال من بلد لآخر من أجل مزيد من العلوم. وقد زادت أعدادهم في مصر القاهرة والإسكندرية وكذلك مدن بلاد الشام دمشق وحلب وغيرها، وكان في مصر معظمهم من المغاربة والأندلسيين ومن بلاد التكرور، وكان هؤلاء الطلاب الغرباء يقيمون بالمدارس لما تمتاز به من خدمات خاصة بالطلاب ووجود أجل العلماء فيها، وهؤلاء الطلاب لم يكن لهم سن معين وكانوا ينتفعون من الخدمات المتوفرة لطلبة المدارس، فأصبحت مصر محطة لطلاب الغرب الإسلامي وخاصة مدينة الإسكندرية.<sup>61</sup>

**المحور الثالث: أساليب التعليم:**

تنوعت أساليب وطرق التدريس في المدارس المملوكية، وكانت تتبع أسلوب متشابه إلى حد ما في كل مدارس ذلك العصر، وهناك من مصادر ووثائق الوقف في ذلك العصر، إضافة إلى بعض الإشارات الواردة في المصادر الأيوبية ما يعطينا فكرة واضحة عن هذه الطرق والأساليب، ويبدو واضحاً أنه كان هناك عدة طرق للتدريس منها: الحلقة، والمجلس، والإملاء والتلقين وغيرها. وكان يرافق هذه الطرق بعض الآداب الخاصة بالطلاب والمعلمين وسوف نتحدث عن كل طريقة على حدة.

**أ. الحلقة:**

وفيها يجلس الشيخ أو المدرس على حشية صغيرة (شلتة) أو على منصة، ويغلب أن يكون ظهره إلى حائط أو سارية من سواري المسجد، ويكون الحضور حلقة أمامه، ويكون هو في أبرز نقطة في محيطها، ويجلس المستمعون في الحلقة بترتيب دقيق، لكل طبقة منها مكان معين فيها،<sup>62</sup> وقد وصف ابن جماعة<sup>63</sup> (ت 733هـ/1332م) ذلك إذ قال: "وقد جرت العادة في مجالس التدريس بجلوس المتميزين قبالة وجه المدرس أو المبجلين من معيد أو زائر عن يمينه أو يساره وينبغي للرفقاء في درس واحد أو دروس أن يجتمعوا في جهة واحدة ليكون نظر الشيخ إليهم جميعاً عند الشرح ولا يخص بعضهم في ذلك دون بعض". ويستدل من النص السابق أن نظام الجلوس بين يدي المدرسين دقيق بحيث لا يأخذ شخص مكان شخص آخر. وربما جاء اسم الحلقة من التحليق حول المدرس، وكانت هذه الحلقات قليلاً ما توجد في المدارس بسبب نظام القاعات، وربما كانت هذه الحلقات تعقد في حرم الصلاة في المدرسة أو في القاعة نفسها.

**ب. المجلس:**

نظام المجلس هو من أنظمة التعليم في المرحلة العليا إلى جانب نظام الحلقة، وكانت المجالس تعقد في قصور السلاطين والأمراء والوزراء وبيوت العلماء وفي المدارس والبيمارستانات وخزائن الكتب، لأن بعض العلماء لا يريدونها في المساجد، وكان مثل هذا النظام متبع في المدارس، وكانت هذه المجالس تنقسم إلى عدة أقسام منها مجالس الوعظ، ومجالس المناظرات، ومجالس التدريس، ومجالس الإملاء. ويهمن من هذه المجالس مجالس التدريس وهي تختص بالتدريس سواء الفقه أو

إبراهيم المزيني، الحياة العلمية في العهد الزنكي، ط1، الرياض 2003م، ص217؛ أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر،<sup>61</sup> ص156.

<sup>62</sup> أحمد شلبي، التربية الإسلامية، ص382.

<sup>63</sup> تذكرة السامع والمتكلم، ص149-151.

**EDITORIAL**

النحو أو الأدب، وهي تعقد في المدارس وخزائن الكتب وتكون مقصورة على الطلبة المسجلين في المدرسة، وربما كان الأسلوب المتبع في الدرس هو الحوار والنقاش من خلال القراءة، وكان الدرس يستمر أحياناً ثلاث ساعات.<sup>64</sup>

**المحور الرابع: طرق التدريس:**

اعتمد التدريس في المدارس المملوكية عادة على الإلقاء والسماع والتلقين والإملاء والقراءة، وربما دارت مناقشات علمية بين المدرس وطلابه خاصة في المرحلة الأخيرة،<sup>65</sup> من هذه الطرق نذكر:

**أ. السماع:**

كان التركيز في التعليم في القرون الأولى على السماع وحده، لعدم توافر متطلبات الكتابة والتدوين في المجتمع الإسلامي آنذاك وكراهية الناس كتابة ما يروونه خوفاً من أن يشتبه ذلك مع ما يكتبونه بالقرآن، وصعوبة الحصول على الورق اللازم للكتابة،<sup>66</sup> والسماع هو سماع لفظ الشيخ إملاءً أو تحدثاً، سواء كان من حفظه أو من كتاب، وهو أرفع طرق التدريس، وهي طريقة تلازم طالب العلم في بداية حياته العلمية لأنه لا يمكن أن يصل إلى مستوى عال من العلم دون السماع من كثير من العلماء.<sup>67</sup>

**ب. الإملاء:**

وهي من الطرق المحببة في التدريس ويصفها السمعاني<sup>68</sup> (ت 568هـ/1172م) بقوله: "إذا أملى عليك المحدث وكتبت أنت من لفظه فلا يتطرق إليه نوع من الفساد لأنه يعرف ما يملئ وأنت تسمع وتفهم ما تكتب". ازدادت أهمية الإملاء عندما استخدم الورق وأصبح من أعلى مراتب التعليم، ونتيجة لطريقة الإملاء اشتهرت كتب الأمالي، التي هي عبارة عن محاضرات يملئها الشيخ أو المدرس على تلاميذه في مسجد أو في مدرسة، وكان المستملي يكتب أول الصفحة "مجلس إملاء شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا".<sup>69</sup> ويستحب للمملي أن يقعد على موضع مرتفع مثل ذكة أو كرسي فإن لم يجد أملى قائماً لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين.<sup>70</sup>

**ج. القراءة:**

وهذه الطريقة يوجد لها أسلوبان: الأول يقرأ العالم من كتاب أو من أصل حفظه، وطلبتة يستمعون إليه، والعالم في هذه الحالة يجب أن يكون صوته مرتفعاً حتى يسمعه كل من حضر مجلسه. والثاني فهو أن يقرأ طالب العلم على العالم كتابه أو مسموعاته، وهو يسمع بحضور طلبة العلم، وهذا يسمى العرض، والعالم أثناء قراءة الطالب يعلق عليه ويشرح ما يمكن شرحه ويحتاج إلى ذلك، وقد يعترض على بعض ما لم يكن له علم بها<sup>71</sup>.

رضوان الليث، الحياة العلمية في بلاد الشام خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 2004م، ص 153-155. <sup>64</sup>  
عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص 190. <sup>65</sup>

<sup>66</sup> أحمد خالد جوده، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي

<sup>67</sup> رضوان الليث، الحياة العلمية، ص 159.

<sup>68</sup> أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: شفيق محمد زيعور، ط1، دار أقرأ، لبنان 1984م، ص 69.

<sup>69</sup> أحمد خالد جوده، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 2001م، ص 334.

<sup>70</sup> السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ص 168.

<sup>71</sup> رضوان الليث، الحياة العلمية، ص 161-162.

## EDITORIAL

## د. المناظرة والمناقشة:

وكانت تقوم على أساس الأسئلة والأجوبة، والمدرس يقوم أحياناً مقام السائل، فيلقي على الطلاب بضعة أسئلة ليختبر فهمهم، وليجيب بنفسه على ما تعسر عليهم أن يجيبوا عنه، وهو بهذا يعطي فرصة للطلاب محدودي المواهب أن ينتفعوا بما تستدعيه هذه الأسئلة وأجوبتها من إعادة للموضوع وزيادة بسط لمسائله<sup>72</sup>. وربما يدخل ضمن هذه الطريقة المذاكرة والتسميع، وكانت المناقشة بشكل عام تطرح موضوع معين ويقوم المدرس بأخذ آراء وأجوبة الطلبة ثم يصححها ويعطي الجواب الصحيح، وربما كان يقوم فيها نوع من الجدل لاختلاف الآراء واختلاف أجوبة الطلبة.

## المحور الخامس: آداب الدرس:

يفتح الدرس عادة بالبسملة ثم قراءة شيء من كتاب الله تعالى تبركاً وتيمناً وبعد ذلك يدعو لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين ثم يستعيز بالله من الشيطان الرجيم ويسمي الله تعالى ويحمده ويصلي على النبي وعلى آله وأصحابه، ويترضى على أئمة المسلمين ومشايخه، ويدعو لنفسه وللحاضرين ولوالديهم أجمعين وللواقف، وكانت الدروس والمواد تقدم حسب الأشرف منها فالأشرف، والأهم فالأهم؛ فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم الخلاف أو النحو أو الجدل، وكان بعض العلماء الزهاد يختتم الدروس بدرس رقائيق يفيد به الحاضرين، وإن كان هناك شروط من الواقف في العلوم التي يجب أن تدرس فيها اتباعها ولا يخل بما هو أهم ما بنيت له تلك البنية ووقفت لأجله<sup>73</sup>. وينبغي الا يطيل في الدرس تطويلاً يمل ولا يقصره تقصيراً يخل، ويراعى في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة في التطويل ولا يبحث في مقام أو يتكلم على فائدة إلا في موضع ذلك فلا يقدمه عليه ولا يؤخره عنه إلا لمصلحة تقتضي ذلك وترجحه<sup>74</sup>.

وكانت هناك بعض الآداب المتعلقة بالطلاب من حيث الاستماع وعدم مقاطعة المدرس والتأدب في الجلوس والكلام وعدم التأخر عن الدرس وعدم مغادرة الدرس قبل انتهاء المحاضرة وغيرها من الآداب المتعلقة بالطلبة والمدرسين.

## المحور السادس: علاقة الطلاب بالأساتذة:

كانت هنالك علاقة قوية بين الطلاب وأساتذتهم ولعل ما اشترط في المدرس من صفات وقدرات توضح لنا أن هؤلاء الأساتذة كانوا نموذجاً طيباً للعلاقة الطيبة مع الدارسين فقد كانوا يطلبون منه أن يكون ملماً بالعلوم وأن يكون كثير البحث مع طول أناة ليتسنى له دراسة نفسية من يعهد إليه، ويستطيع بالتالي النزول إلى مستواه ويعمل على الاتصال العاطفي معه<sup>75</sup>. وهناك أدلة واضحة على المعاملة التي كان يعامل بها المدرسون الطلبة؛ فبعضهم كان يعامل الطلبة معاملة الأب لأبنائه ويحاول تقصي أخبارهم والسؤال عن مشاكلهم ومحاولة حلها حتى يتفرغوا لطلب العلم<sup>76</sup> وفي ذلك دلالة واضحة على أنهم لم يكونوا يهتمون بلقاء الدروس فقط وإنما يتعدونه ليصبحوا المرين والمعلمين والناصحين للطلبة، وكان المدرسون في المدارس نموذجاً يحتذى

72 أحمد شلبي، التربية الإسلامية، ص386.

73 ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص34-35.

74 ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص35-36.

عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص187؛ أسعد طلس، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت د.ت، 75 ص129.

ابن الزيات، الكواكب السيارة في ترتيب ابن الحاج، المدخل إلى الشرع الشريف علي المذاهب، ج1، القاهرة 1929، ص199؛ 76 الزيارة في القرافتين الصغرى والكبرى، القاهرة 1907م، ص214-215.

## EDITORIAL

بهم علماء وعملاً فلم يكن تأثيرهم وعلاقتهم بالطلبة تتوقف عن الأثر العلمي، وإنما كانت أخلاق هؤلاء المدرسين نبراساً وهدى سار عليها الطلبة في حياتهم فخرجت هذه المدارس نماذج طيبة من العلماء الذين لعبوا دوراً كبيراً في الحياة السياسية والدينية وحتى الحربية وخاصة أثناء الحروب الصليبية وما بعدها<sup>77</sup>.

وفي المقابل كان الطلبة يدينون لأساتذتهم بعلاقات التبجيل والاحترام والطاعة مقابل العطف والنصح والإرشاد من قبلهم؛ فعلي الطالب أن ينقاد لشيخه في كل أمور ويستشيريه فيما ينوي القيام به من الأعمال محافظاً علي حرمة، متقرباً إلي الله بخدمته شاكراً له لما يسديه إليه من النصح<sup>78</sup>، وأن يصبر إذا جافه شيخه ويبادر بالاعتذار له، وأن يدعو له مدة حياته ويواظب على زيارة قبره ويرعى ذريته وأقاربه قدر استطاعته<sup>79</sup>.

## الإجازة:

وتعني أنّ طالب العلم يستجيز العالم علمه فيجيزه، وتستحسن الإجازة إذا علم المجيز ما يجيز وكان المجاز له من أهل العلم، والإجازة ليست خاصة بالمحدثين، وإنما اشتملت على بقية العلوم، وكانت هذه الإجازات بمثابة الشهادات التي تمنح اليوم للطلاب، فلا يستطيع أي طالب علم أن يروي أي علم من العلوم إلا بإجازة من العلماء الذين أخذ منهم، وتكون مثل إعطاء العالم كتبه أو بعضها لطالب العلم، ويعطيه إنذاراً بروايتها، أو إجازة العالم لطالب العلم أو غيره من العلماء برواية جميع قراءاته ومسموعاته<sup>80</sup>.

تكون الإجازة بوصول الطالب إلى مرحلة يقتنع أستاذه عندها أنه أصبح أهلاً لأن يجلس مجلس الأستاذ، فيمنح بذلك الإجازة، ولا يصل الطالب إلى مرتبة الفقيه إلا إذا أمكنه أن يعترض على أستاذه ويصير إلى حالة يمكنه فيها أن يقول له: لم؟ ويحسن الاعتراض عليه، وقد تنوعت هذه الإجازات: فمنها ما يمنح للطالب يجيزه بتدريس المواد التي أجاد دراستها، وينص في الإجازة على هذه المواد، وأعتاد الأستاذ أن يثني على تلميذه في إجازته، فهذا مجد الدين علي القشيري يجيز محمد بن علي القوصي بالتدريس، ويكتب في إجازته: الفقيه العالم عماد الدين محمد، بدأ القرآن العظيم، فأحكم القراءات السبع، ثم تثنى بالاشتغال بمذهب الإمام الشافعي درساً وتكراراً، فحتم على المهذب أو أكثره، ثم اشتغل بعلم التفسير، تفسير القرآن العظيم.....<sup>81</sup> وقد يجيز الأستاذ تلميذه بالتدريس والفتوى معاً. كما أجاز ابن دقيق العيد تلميذه عمر بن المفضل وكان ابن دقيق العيد يتأنق في إجازته قال بعد سؤال شمس الدين له بالإجازة:

استخير الله تعالى في الإيراد و الإصدار، واعتصم به من آفتي التقصير والإكثار، واستغفر الله فيما فرط في الجهر والإسرار، وأقول: إني ذاكرت فلاناً زينه الله بالتقوى، وحرسه في السر والنجوى، في فنون من العلوم الشرعية: العقلية والنقلية، فألفيته يرجع إلى معقول صحيح، ومنقول صريح، واطلاع على المشكلات، واضطلاع بجل المعضلات، لا سيما في فقه المذهب، فإنه أصبح فيه كالعالم المذهب، وقام بعلم العربية والتفسير، فصار فيها الفاضل النحرير، وقد أجبتّه إلى ما التمس، وإن كان غنياً بما حصل

<sup>77</sup> عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي، ص188.

<sup>78</sup> الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعليم، الأستانة 1875، ص 11.

ابن جماعة، تذكرة السامع، ص 214، 216؛ الزرنوجي، تعليم المتعلم، ص 12، 13.<sup>79</sup>

<sup>80</sup> رضوان الليث، الحياة العلمية، ص162-164.

<sup>81</sup> أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص88-89.

## EDITORIAL

واقتبس، فليدرس مذهب الشافعي لطالبيه، وليجب المستفتي بقلمه وفيه، ثقة بفضلله الباهر، وورعه الوافر، وفطرتة الوقادة، وألمعيته النقادة، والله تعالى ينفعنا وإياه بما علمناه، ويرفعنا بذلك لديه فما القصد سواه.<sup>82</sup>

وقد تكون الإجازة بالفتوى فحسب، أو برواية الحديث، كما أجاز السلفي لعلي بن يوسف القفطي الوزير أن يروي عنه، وقد يجيز الأستاذ لطالبيه أن يروي مصنفاً، أو يروي مسموعاته، أو أن يدرس كتاباً بعينه، قد درسه عليه، وهناك شهادات للعلماء بقراءة الطلبة عليهم مادة بعينها،<sup>83</sup> وما كانت هذه الشهادة تصل إلى درجة الإجازة، والغالب فيما يمنح من الإجازات أن يكون قصيراً أو قد تطول الإجازة حتى تصبح قريبة من كراستين، كهذه الإجازة التي منحت لابن شداد، وفيها يذكر كل شيء بالتفصيل.<sup>84</sup>

صفوة القول أن نظام الأوقاف لعب دوراً هاماً ومؤثراً في الحياة العلمية في العصر الإسلامي، ووصل إلى أوج نشاطه في العصر المملوكي، بحيث ضمن استمرارية العمل بتلك المؤسسات التعليمية بما وقفه عليه من الأموال والضياع والقرى التي كان يذهب ريعها على بناء وتشديد تلك المؤسسات وعمارتها باستمرار، والمرتبات الجزيلة النقدية والعينية التي كانت تمنح للقائمين عليها من الهيكل الإداري الذي كان من الضخامة بحيث ندرك مدى قوة نظام الأوقاف ودقته على صعيد المدارس فقط دون الخوض في أوقاف المساجد أو البيمارستانات أو قبور السلاطين... الخ، والتي كانت توقف عليها الأوقاف الضخمة هي الأخرى، بما ينم عن أن هذا النظام كان يلقى العناية من الدولة للتشجيع على الحركة العلمية والثقافية والتي نمت وازدهرت في العصر الوسيط بفضل هذا النظام والقائمين عليه، لتخرج لنا الحضارة الإسلامية كأعظم الحضارات التي عرفها العالم في العصر الوسيط.

82 هجر للطباعة والنشر و التوزيع , ط2, القاهرة 1992م، السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ت. عبد الفتاح محمد الحلو ومحمد الطناحي، العقلية، ص89-90. ص258؛ أحمد بدوي، الحياة

83 أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص89-90. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت. إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت 1978م، 354.84

## EDITORIAL

## جدول رقم (1) عن رواتب الهيكل الإداري في المدرسة الصرغتمشية من خلال وثيقة الوقف

الموظف	العدد	المرتب النقدي شهرياً	المرتب العيني
المدرس الرئيس	واحد	300 درهم	5 رطل لكل من الزيت والصابون والسكر
المعيدون	ثلاثة	لكل معيد 70 درهم	لكل واحد رطلان ونصف زيت ورطلان صابون وثلاث اربال سكر
الطالبة	60 طالب	لكل طالب 55 درهما	رطلان ونصف زيت ورطلان صابون ورطلان سكر لكل طالب
نقبيان لضبط الغياب	طالبان	لكل طالب 60 درهماً	نفس المرتب العيني للطالبة
الإمام	واحد	70 درهماً	-
المحدثين	واحد	150 درهماً	-
طلاب المحدث	15 طالب حديث	لكل طالب 15 درهماً	-
القارئ	48 مقريء	لكل واحد 48 درهماً	-
المؤذن	إثنان	لكل واحد 30 درهماً	-
الفراشين	أربعة	لكل واحد 30 درهماً	-
الساقي	واحد	40 درهماً	-
الوقاد	اثنان	لكل واحد 30 درهماً	-
البواب	اثنان	لكل واحد 30 درهماً	-
خدام الميضأة	اثنان	لكل واحد 3 درهماً	-
خازن المكتبة	واحد	50 درهماً	-
ناظر الوقف	واحد	200 درهم	-
شاهد الوقف	واحد	60 درهماً	-
كاتب الوقف	واحد	100 درهم	-
مؤدب الأيتام	واحد	40 درهماً	-

## المراجع

- (1) إبراهيم المرزني، الحياة العلمية في العهد الزنكي، ط1، الرياض 2003م.
- (2) أحمد بدوي، الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر
- (3) أحمد خالد جوده، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي، ط1، المؤسسة

## EDITORIAL

- الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 2001م.
- (4) أحمد شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، ط11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1999م.
- (5) أسعد طلس، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت د.ت، ص129.
- (6) أيمن سلام، المدارس الإسلامية في مصر، القاهرة 2003.
- (7) بشار عواد معروف "محقق" التكملة لوفيات النقلة، ج2، ج3، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1988م.
- (8) ابن جبير: رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك (رحلة ابن جبير)، ط3 دار صادر بيروت
- 1907.
- (9) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت 1935م، ص87.
- (10) جورج المقدسي، نشأة الكليات " معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب"، ت محمود سيد محمد، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة 1994م.
- (12) ابن الحاج، المدخل إلي الشرع الشريف علي المذاهب، ج1، القاهرة 1929.
- القاهرة 1990م. 13) حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، دار النهضة العربية،
- (14) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت. إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت 1978م.
- (15) رضوان الليث، الحياة العلمية في بلاد الشام خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 2004م.
- (16) زبيدة محمد عطا، مكتبات المدارس "خزانة الكتب" في العصرين الأيوبي والملوكي، أبحاث ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية من 22-25 أبريل عام 1991م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992م.
- (17) الزرنوجي، تعليم المتعلم طريق التعليم، الأستانة 1875.
- (18) ابن الزيات، الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الصغرى والكبرى، القاهرة 1907م.
- (19) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1993م.
- (20) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج4، ت. عبد الفتاح محمد الحلو ومحمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر و التوزيع ، ط2، القاهرة 1992م، ؛ أحمد بدوي، الحياة العقلية.
- (21) سعيد عبد الفتاح عاشور الأيوبيون والمماليك في مصر وبلاد الشام، دار النهضة العربية.
- (22) السيوطي، حسن المحاضرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، م ج2، دار الفكر العربي.
- (23) أبو شامة، ذيل الروضتين، نشره السيد عزت العطار، ط1، القاهرة 1947م.
- ابن شداد، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج1، تحقيق: سوردل، حلب 1963. (24)
- ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيبان، القاهرة 1964م. (25)
- (26) الشوكاني، نيل الأوطار ( شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار)، ج6، القاهرة 1928م.
- (27) شفيق محمد زيعور "محقق" أدب الإملاء والاستملاء، ، ط1، دار أقرأ، لبنان 1984م.

## EDITORIAL

- (28) عبد اللطيف أحمد علي، نسان جديان من وثيقة الأمير صرغتمش، حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة، مج28، 1966.
- حلب 1997م. (29) ابن العجمي الحلبي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، ج1، ط1، دار القلم العربي،
- (30) عفاف صبرة، المدارس في العصر الأيوبي في مصر، أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1991م.
- (31) علي السيد علي، وثيقة وقف السلطان الناصر محمد بن قلاوون علي المدرسة والمكتب
- (32) أبو الفداء، تقويم البلدان، مدينة باريس المحروسة، بدار الطباعة السلطانية 1840م.
- (33) ابن قاضي شهبه، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحافظ عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت 1986م، ج2.
- الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987م، (34) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، تحقيق: محمد حسنين شمس
- (35) كمال بدور، مملكة حلب، دمشق 1988.
- (36) محمد أبو غنيمه، تطور التعليم الجامعي في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة 1958م.
- (37) محمد أمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ط1، القاهرة 1980م.
- (38) محمد عفيفي، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1991م.
- (39) المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ج4 دار الطباعة المصرية، القاهرة 1988م.
- (40) نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة " دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري " دار القارئ العربي، القاهرة 1992م.
- منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1998م. (41) هالة عبد الحميد السيد جاد، نظامية بغداد ودورها الحضاري، رسالة دكتوراه غير